

أضواء البيان

. @ 172

أما الإحالة فالذي يظهر أن موجبها هو أنه في هذه السورة الكريمة اجتمعت ثلاث صفات للّـه تعالى من صفات العظمة والكمال : رب الناس ، ملك الناس ، إلاه الناس ، ولكأنها لأول وهلة تشير إلى الرب الملك هو الإله الحق الذي يستحق أن يعبد وحده . .

ولعله ما يرشد إليه مضمون سورة الإخلاص قبلها : هو اّ أحد ، اّ الصمد ، وهذا هو منطق العقل والقول الحق ، لأن مقتضى الملك يستلزم العبودية ، والعبودية تستلزم التّأليه والتوحيد في الألوهية ، لأن العبد المملوك تجب عليه الطاعة والسمع لملكه بمجرد الملك ، وإن كان ملكه عبداً مثله ، فكيف بالعبد المملوك لربه وإلهه ، وكيف بالمسالك الإله الواحد الأحد الفرد الصمد ؟ .

وقد جاءت تلك الصفات الثلاث : الرب الملك الإله ، في أول افتتاحية أول المصحف : { الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } ، والقراءة الأخرى { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } . .

وفي أول سورة البقرة أول نداء يوجه للناس بعبادة اّ تعالى وحده ، لأنه ربهم مع بيان الموجبات لذلك في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } . . ثم بين الموجب لذلك بقوله : { الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } . . وقوله : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ } . .

وهذا كله من آثار الربوبية واستحقاقه تعالى على خلقه العبادة ، ثم بين موجب إفراده وحده بذلك بقوله : { فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } . . أي كما أنه لا ندّ له في الخلق ولا في الرزق ولا في شيء مما ذكر ، فلا تجعلوا للّـه أنداداً أيضاً في عبادة ، وأنتم تعلمون حقيقة ذلك . .

وعبادته تعالى وحده ونفى الأنداد ، هو ما قال عنه الشيخ رحمة اّ تعالى علينا وعليه : معنى لا إله إلا اّ نفياً وإثباتاً . .

فالإثبات في قوله تعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ } .